الشعر في مصر

La Poésie en Egypte.

كنا قد ذكرنا في ص ٦٧٧ وما يليها انبغ شعراء مصر وما امتاز به كل فقرأته بمحسن الديباجة وطلاوة العبارة وعذوبة النصاوير الفكرية الآخذة بالقلوب وكيف فاق من تقدمه في اختراع المواضيع المختلفة من غير ان يطرق بعضا واحدا او بابا من ابواب الاوائل . تلك الابواب التي اكل عليها الدهر وشرب وتحطمت ولم يبق من يفكر في وجودها فضلا عن الاحتذاء بها . فلما وقف على مقالنا ذاك بعض الادباء انتسموا شطرين شطر وافقنا في رأينا وهم الادباء الخالون من كل غرض ، وفريق سلقنا بلسانه الحاد ناسبا الينا التزلف من امام الشعراء المجيدين المصريين (الاستاذ الكبير صاحب السعادة الدكتور احمد زكي بك ابو شادي) (١) ولما كان كثيرون قد الحوا علينا ان نذكر لهم ما قالته المقتطف والهلال في هذا النابغة الفذ تنقل اليهم ما قالته فيه شيخة المجلات العربية .

الشفق الباكي (عن المقتطف ٧٤ : ٣٤٩)

يحار من يلقي نظره على هذا الديوان الحافل في تعليل ما يبدو في كل صفحة من صفحاته من آثار القريحة الفياضة والعقل الجامع لشوارد العلم والتباريح والنفس الغنية الحساسة بطيوف الالوان والاصوات والصور . فيقف من هذه الآثار موقف الدهشة اولا حتى يكاد يغري بالقول ان صاحبا يفكر شعرا ويتكلم شعرا (فاذا تصفحها وتفهم مغازيها تحولت دهشته اعجابا . فمن تراه يصف (حديقة النحل) ويجيد وصفها اذا هو ينتقل الى عالم المكرسكوب والاحياء الدقيقة فيصف ما في معمل البكتريولوجي من الغرائب التي تفتن لب الشاعر كما يفتنه الربيع او كما تسحره الانغام .

١) نحن نقول في حالة الرفع والنصب والجر (ابو شادي) فانه مشهور في مصر كلها وفي الخارج عنها بهذا الاسم على سبيل الحكاية وهكذا يكتب اسمه ايضا المستشرقون وغير المستشرقين من اصحاب اللغات الغربية .

وعندنا ان هذه القصيدة هي فريدة الديوان ولو لم يكن الدكتور ابوشادي قد تربى تربية علمية وحذق البكتريولوجية وقرن الى ذلك نظرا شعريا وشاعرية فياضة لما اتيح لنا ان نقرأ هذه القصيدة. ومن اقواله فيها ردا على فقيه يعترض عليه بان علم الجراثيم لا يتفق مع الشعر والفن (قدعني اغن والعلم فالعن عليه) وعندنا ان هذه نظرة صحيحة الى علاقة الشعر بالعلم فان العلماء كشفوا لنا من عجائب وغرائب اذا اتخذ منها الشاعر مصدرا للوحي اتانا بالمعجزات . العلم لا يناقض الشعر بل هو معوان له لانه يوسع الخيال ويزيد ثروته ويجعل الشعر اوثق اتصالا بالحياة العصرية التي تقوم على ركنين من العلم النظري والعلم العملي

ومن كان هذا طبعه وشعوره ... فلا حبسه يخبو ولا عينه تكرى
تحرر من قيد الجسوم وروحها ... ترى الشعر فيما انت تحسبه فقرا
ويا ربما هذي الجراثيم قد حكت ... بروعتها الروض المنجل لا الغفرا
ولولا حجى الفنان ما كان فارق ... وساوى رهيف السمع من يشتكي الوقرا
وما رجحت إلا المظاهر وحدها ... ولم ندر من خافي بدائعها امرا ! »

وقد ختم الشاعر قصيدته هذه ببيتين في نهايتهما تشبيه مبتكر . قال يصف عقل الذي كان يناقشه في موضوع الكروبات والشعر وهو يعرض عن كل حجة وبرهان :

ومن نكد الدنيا اناس تصدروا ... لفلسفة في النقد تركبهم وعرا
نواظرهم شبه الزجاج ومثلها ... عقول لهم ان نوقشت صفقت كسرا

اما قصيدته « حديقة النحل » فلا يستطيع نظمها إلا من كان مثله قد عني بدرس حياة النحل نظرا وعملا وعرف ما في تلك المملكة من اسرار الجمال والنظام . واليك بعض ابياتها وهي طويلة :

لا تصغرن اذا حكمت صغيرها ... فلربما ملكت مآل كبار
خلقت من الاتقان في تكوينها ... وتسلطت بجهادها الجبار
هي كلها للجمع تدأب لا تني ... لا سخرة للسيد الاعمار
قل للمصغر قدرها لغروره ... من انت في الاقدار والاوطار

البأس والجبروت من اعوانها ولو ان للشورى سني مثار

ومنها وصف ملكة النحل :

محرسنها في هالة فكأنها في عزها قمر من الاقمار
وهي الاسيرة لو بحثت تحققا ولربما شعرت بطوق اساور
وقف عليهن الغذاء وانما من روحهن لها بغير حذار
فتكاثف المجموع من اذعانها وتبيض مسرفة بلا استمرار

ولا يستطيع الصحافي ان يفي هذا الديوان حقه من البحث والتحليل في نظرة عجلى كالتي تقدمت ولكننا نظنها كافية لان تبين للقارئ ان وراء شاعرا «يرى الشعر في القفر» ولذلك فهو جدير بالعناية والدرس » انتهى كلام المقتطف .

ودونك الان ما قاله الهلال في ٣٧ : ٦٢٥ :

يعرف القراء الدكتور زكي ابو شادي بمقطوعاته الشعرية الجميلة التي تظهر بين حين وآخر في المجلات والصحف ...

ونحن ننقل هذه المقطوعة الصغيرة من « الشفق الباكر » وقد وضع لها عنوانا « العطف الالهي » :

واحس اني في انسجام دائم بالكون والكون العظيم حياتي
اتأمل الساعات في ابرامه وكأنني متأمل مرآتي
واقال عطفا من جميل حنانه يسري الى روحي بغير فوات
حس خفي لست ادرك كنهه وكأنما هو معجز الايات
بلغ الضمير وكان خير مؤذن بالله في ملكوته لحياتي

فهذه المعاني السامية لو البست ثوبا من اللفظ اروع وآنق لكان الاثر في نفس القارئ ابعد واعمق . ولكن الشاعر لايبارى في المعاني المبتكرة والنزعات الشريفة . والانسان يقرأه فيشعر كأنه بحضرة شاعر من شعراء اوربا مهموم بمصالح الناس والمثل العليا فهو يكتب عن فتاة الريف بعطف وفهم ، وكذلك يصف الموسيقى بروح الرجل الذي يلتذها ويحبها وينظر للدنيا نظرة ابن الدنيا لا ابن الوطن الجغرافي، والناس نظرة الانسان لانظرة الشرقي او الغربي ويسمي الفلاح المصري « امبرنا الصعلوك » .

وبالكتاب نحو ٣٠٠ قصة كتبها كتاب معروفون في قيمة الشعر والنثر ومعنى النقد والتجديد . وهذا غير مقدمة وافية في النقد والادب الجديد للاستاذ حسن صالح الجداوي .

والخلاصة ان هذا المجلد ليس برهانا على نبوغ المؤلف فقط بل هو ايضا برهان على ان النهضة المصرية الحاضرة تؤاتي الاديب على ان ينبغ

شرح لسقط الزند

Saqt az-Zand.

في خزانتنا كتاب مطبوع في تبريز (ايران) عام ١٢٧٦ هـ وهو شرح على سقط الزند لابي العلاء المعري يقع في ٣٧٢ صفحة بقطع متوسط . وقد طبع في هامش هذا الشرح شرح ابي الفضل القاسم بن الحسين الخوارزمي المسمى بضرام السقط .

ليس في هذا الشرح الجزيل الفائدة اسم مؤلفه كما ليس فيه تاريخ فراغ المؤلف منه ليعلم انه في اي قرن كان ؟ لكن المعلوم اجمالا ان المؤلف معاصر للميداني او متأخر عنه لانه قد ينقل في هذا الشرح عن خط الميداني : يقول في احد مواضع الشرح : وقد كتب الامام احمد الميداني على حاشية نسخته من هذا الديوان الثغب بالتحريك الغدير الذي يكون في ظل جبل فسكن الغين للضرورة الخ وقال في موضع آخر : ورايت بخط الميداني رح يقول الخ .

الشارح شافعي المذهب كما يظهر من كلامه في شرح البيت :

لغسل الكف من اعراضها مائة وما يجاوز سبعا غاسل النجس

اذ يقول في ضمن شرحه لهذا البيت : يعني يغسل كفه من متاع الدنيا وحطامها مائة مرة تنزها ان يتدنس بها اي يغسل كفه عنها مائة مرة وان كان الذي يغسل الشيء النجس تطهيرا لا يجاوز في الغسل سبع مرات يعني النجاسة المغلظة في الشرع وهو لعاب الكلب فانه اذا اصاب عينا من الاعيان وجب غسله سبع مرات مع